



القصة السابعة

سلسلة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

المعاناة والحزن



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطى مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: ليانا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب السابع

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) 9960-9682-4-3

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة: يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية: فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

المعاناة

والحزن

تأليف

لينا الكيلاني

منهاج المدارس العالمية
International Curricula

المعاناة والحزن

حين أدركت قريش أن أساليب التعذيب والاضطهاد لم تُفلح في زعزعة إيمان المسلمين، غيرت نهجها وسلكت طريق الإغراء. فقد عرضوا على محمد ﷺ المال الوفير، بل اقترحوا أن يجعلوه سيداً على قريش إن هو ترك دعوته. ومع ذلك، فإن النبي الكريم ﷺ لم يقبل بشيءٍ من هذه العروض الفاسدة، ورفض كل أشكال المساومة.

ورغم أن وضع المسلمين في مكة بدأ يتحسن قليلاً، إلا أن أبو طالب ظل خائفاً على حياة ابن أخيه، خاصةً بعد تكرار محاولات اغتياله. فجمع رجال بني المطلب وبني هاشم، مؤمنين وكفاراً، وشرح لهم الخطر المحدق، وحثّهم على حماية محمد ﷺ والدفاع عنه مهما كانت التبعات.



وقد وافق الجميع على هذا الموقف النبيل—المؤمنون والشركون على حد سواء—
باستثناء أبي جهل، الذي ظل في عداوته وبغضه للنبي ﷺ.

المقاطعة

مع مرور كل يوم كانت التوترات في مكة من نوع آخر، كانت قريش ترى الإسلام يزداد قوة. بعد إسلام حمزة رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، زاد عدد المسلمين وقويت شوكتهم. عندما رفض رسول الله ﷺ عروضهم بمال والملك، أدركوا أنه مصمم على متابعة رسالته. وعندما وافق بني المطلب وبني هاشم على حماية قريهم، علموا أنه إذا قتلواه، فستبدأ معركة مريمة. فاجتمعوا جميعاً لمناقشة أفضل طريقة لتدمير الإسلام، دون قتل الرسول صراحةً. وفي النهاية، كانت قراراتهم قاسية.

قرروا منع أي شخص من التعامل مع بني المطلب وبني هاشم. كما منعوا الزواج من هؤلاء القبائل. وحظروا الجميع من زيارة أو التحدث إلى محمد ﷺ وأتباعه حتى يسلموه ليُقتل. ثم كتبوا قوانينهم الشديدة على قطعة من الرق وعلقوها في الكعبة.

قرر أبو طالب بحكمة أن يسحب قومه من هذا العداء والعزلة التي كانوا سيفضلون لتحملها. فانتقل إلى وادٍ ضيق في الطرف الشرقي من مكة، وتبعته بقية بنى المطلب وبني هاشم. أصبح هذا الوادي يعرف بوادي أبي طالب، وكان بدايةً ثلاثة سنوات من المعاناة تحت الحصار.

منعت قريش وصول الطعام إلى أهل الوادي، وكانوا يشترون الطعام فور وصوله إلى مكة ليمنعوا أهل الوادي من الحصول عليه. حتى في الأشهر الحرم، وهي عادةً أشهر آمنة، في هذه الأشهر كان الطعام نادراً، فكان الكفار يرفعون أسعار الطعام إلى درجة أن أهل الوادي لم يستطيعوا شراءه.

في بعض الأحيان، كانت الحالة يائسة جدًا لدرجة أن أهل الوادي كانوا يأكلون جلود الحيوانات وأوراق الأشجار المُرّة. كانت صرخات الأطفال الجائعين في الوادي تتردد في أرجاء مكة.

على الرغم من كل الصعوبات التي واجهوها، لم يخضع أهل الوادي لتسليم رسول الله ﷺ. استمر الرسول ﷺ في دعوته إلى الإسلام وصلَّى علَّا عند الكعبة. ووفاءً بوعده، استمر أبو طالب في حماية ابن أخيه.

كانت قريش على يقين أن هذه المعاملة القاسية ستُجبر أهل الوادي على تسليم محمد ﷺ، لكنهم كانوا مخطئين. مرة أخرى، أدت معاملتهم القاسية إلى تدمير خططهم بالكامل. ومع تدهور الوضع، شعر خمسة رجال، لديهم أقارب في القبائل المحاصرة، بالشفقة على معاناة أقاربهم وقرروا إنتهاء المقاطعة. ذهبوا إلى بيت الله الحرام وأقسموا أنهم لن يغادروا حتى يمزقوا الوثيقة التي كانت تقرر المقاطعة، وبالتالي إنتهاء الحصار. ولكن، رد أبو جهل، الذي كان حاضرًا، قائلاً إنه لن يُمزق الوثيقة. في تلك اللحظة، جاء أبو طالب مع إعلان مذهل. قال إن ابن أخيه، رسول الله ﷺ، قد تلقى وحيدًا أن النمل قد دمر الوثيقة التي كتبوا عليها اتفاقيهم الشرير. وأضاف أنه إذا ثبت أن هذا غير صحيح، فسيُسلم محمد ﷺ. من ناحية أخرى، إذا كان ابن أخيه على صواب، فسيضطرون إلى إنتهاء المقاطعة. وافق الجميع على اقتراح أبي طالب وانتظروا بقلق حق ذهب أحد هم ليتحقق من حالة الرق. وفي الواقع، كما قال محمد ﷺ، كانت النمل قد أكلت كل شيء باستثناء الكلمات: «بِاسْمِ اللَّهِ». كانت هذه إحدى العلامات العجيبة التي أثبتت أن محمد ﷺ كان حَقًّا نَبِيًّا.

ومع ذلك، تجاهلها الكفار وقالوا إنها سحر. ومع ذلك، انتهت المقاطعة أخيراً وعاد رسول الله ﷺ مع أهل الوادي إلى ديارهم.

قريش تُخاطب أبو طالب للمرة الأخيرة

حاول أهل مكة أن يستأنفوا حياتهم وكأن شيئاً لم يكن، إلا أن هناك تذكيراً دائماً بأن الأمور لن تعود كما كانت. وكان ذلك التذكير متجلساً في رسول الله ﷺ، الذي لم يفوّت فرصة إلا وبادر إلى دعوة الناس إلى الإسلام، يخاطب الزوار والحجاج والتجار القادمين إلى مكة.

ومع ازدياد نشاطه في الدعوة، قابلته قريش بزيادة في العداء والمساعي لإخماد الرسالة. وساد جوًّ مشحونٌ بالتوتر، إذ انقسمت مكة الآن إلى مؤمنين وكافرين وفي خضم هذا، اشتد المرض على أبي طالب، عم النبي ﷺ، الذي كان ركناً من أركان الحماية والدعم. فقد أنهكته سنوات المقاطعة، حتى أضعفته العلة وأقعدته. وكان هذا مصدر قلقٍ لقريش؛ فإن مات أبو طالب، خشي القوم أن تستغل القبائل الأخرى الفرصة لاغتيال النبي ﷺ، مما سيؤدي إلى اضطرابات لا تُحمد عقباها.. فعادوا إلى أبي طالب بمحاولة جديدة. هذه المرة، لم يعرضوا مالاً ولا منصباً، بل اقتربوا اتفاقاً جديداً: أن يترك محمد ﷺ عبادتهم وشأنهم، مقابل أن يتركوه وشأنه فلما نقل أبو طالب مطالب قريش، لرسول الله ﷺ، رد قائلاً: «يا عم، لم لا تدعوه إلى شيء أفضل؟» «ما الذي تدعوه إليه؟» سأله أبو طالب.

«إنها كلمة واحدة ستجعلكم متفوقين على العرب وغير العرب»، قال رسول الله

صلوات الله وسلامه.

تأمل سادة قريش بدهشة! ماذا يمكن أن يمتلك محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه ليجعلهم يتفوقون حتى على غير العرب؟

«ما هي تلك الكلمة؟» طالب أبو جهل بمعرفتها.

«أريدكم أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن تتوقفوا عن عبادة جميع آهلكم وتعبدوا الله وحده»، قال محمد صلوات الله وسلامه.

«ماذا؟» تعجب الرجال من مطالب رسول الله صلوات الله وسلامه.

«كيف تتوقع منا أن ندمج جميع آهتنا في إله واحد؟ هذا أمر لا يصدق!» قالوا،
وهم يصفقون بأيديهم. بينما كان الرجال يخرجون من مكان الاجتماع، قال
أحدهم: «والله، هذا الرجل لن يتنازل، ولا يمكن التفاهم معه. دعونا نتمسّك
لبدين آبائنا، وفي النهاية سيُظهر لنا الله من هو على الحق ومن هو على الباطل.»
كان هذا القول صحيحاً. الله تعالى سيحكم بينهم. لكن الرجال لم يدركوا
شيئاً واحداً: الله تعالى دائمًا في جانب المؤمنين.

عام الحزن

مع تدهور حالة أبي طالب الصحية،
أصبح من الواضح أنه سيموت
قريباً، وكان رسول الله ﷺ يريد بشدة
أن يقبل عمه الإسلام قبل أن يموت.
فذهب إلى غرفة عمه لدعوته إلى
الإسلام.

ولكن كان هناك أبو جهل وعبد
الله بن أبي أمية هناك.

تجاهل رسول الله ﷺ هذين الكافرين
الجاهلين، وقال: «يا عم، قل لا إله
إلا الله، وأناأشهد لك أمام الله».



لكن أبو جهل وعبد الله قاطعا الكلام سريعا: «يا أبا طالب، هل تريد أن ترك دين عبد المطلب؟» طلب رسول الله ﷺ مرة أخرى من عمه أن يقبل الإسلام، ولكن أبو جهل حاول مرة أخرى إبعاد أبو طالب عن الحقيقة. ثم أعطى أبو طالب قراره النهائي في المسألة.

«أنا على دين عبد المطلب»، قال أبو طالب.

كم كان قلب الرسول ﷺ يؤلمه عندما سمع قرار عمه النهائي. بالرغم من كل جهوده، لم يستطع إقناع عمه بالحق.

«والله، سأظل أسأل الله أن يغفر لك حتى يمنعني من ذلك»، قال رسول الله ﷺ.

ثم، نزلت آيات الله التي تمنع المؤمنين من طلب المغفرة للكافرين، حتى وإن كانوا من العائلة. كما نزلت الآية: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦].

بعد فترة وجيزة، توفي أبو طالب.

مررت ستة أشهر فقط منذ أن تركوا المعاناة في الوادي،

والآن فقد رسول الله ﷺ عمه الحبيب ملأ الحزن

قلبه ، الذي رباه في طفولته، والذي حماه في شبابه وكان عموده الداعم في رسالته.

ثم، بعد شهرين فقط من وفاة عمه، ضربت مأساة أخرى عائلة الرسول ﷺ. توفيت زوجته الحبيبة خديجة رضي الله عنها فجأة. كانت زوجة رائعة له طوال خمس وعشرين سنة، وكانت دعماً ثابتاً له خلال العشر سنوات من نبوته. آمنت به عندما لم يؤمن به أحد، وواسته عندما لم يواسه أحد. أنجبت له أبناءه، وواجهها معًا المحن في الحياة، عندما خطف الموت أبناءهما. والآن، رحلت هي، وتركت رسول الله ﷺ وبناته الأربع في فراغ وحزن وألم.

بعد ذلك، تزوج محمد ﷺ من الأرملة الفقيرة سودة رضي الله عنها التي أسلمت.



الخروج إلى الطائف

علمت قريش مدى حزن النبي ﷺ بعد فقدان اثنين من أحب الناس إليه، وكان موت أبي طالب تحديًّا فرصةً لهم لا تفوَّت، فبدون حمايته القوية، أصبح رسول الله ﷺ صيدًا مكشوفًا، وأظهروا عدائهم دون تردد، يعذبون المسلمين ويهينون النبي الكريم ﷺ.

ذات مرة، رمى أحد أهل مكة الرمل على رأس النبي ﷺ، فغسلته ابنته وهي تبكي، فقال لها ﷺ مواسياً: «لا تبكي يا بنية، فإن الله سيحفظ أباك».

وكان من الواضح أن قريش لم تكن قريةً من قبول الإسلام، فانطلق النبي ﷺ إلى الطائف، يبحث عن مناصرين لدعوته، يصحبه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه. خرج ﷺ مليئاً بالأمل في إيجاد دعم جديد للدين، لكنه لم يلق إلا الرفض والجفاء.



عرض دعوته على أسرة من أشراف الطائف، فقابلوه بكلمات قاسية. بقي في الطائف عشرة أيام، يدعوهם إلى الإسلام، فلم يُجبه أحد، بل كانوا في عدائهم أشد من أهل مكة، واتهموه بإثارة الفتنة كما فعل في بلده. فطردوه، وسخروا منه في الأزقة، ثم لحقوا به خارج المدينة وهم يرجمونه بالحجارة ويشتمونه.

كان زيد رضي الله عنه يحاول بكل ما يستطيع حماية رسول الله ﷺ، لكنهما أصيبا: سال الدم من ساقيه الظاهرتين، وزيد رضي الله عنه أصيب في رأسه اختباً النبي ﷺ وزيد رضي الله عنه في بستان خارج الطائف، منهجاً مكلوماً، جلس يستند إلى الجدار، ويرفع يديه إلى السماء في دعاء يقطر الماء وخشوعاً: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهُوَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي لَا حُولَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».»

سمع أصحاب البستان دعاءه، فأشفقوا عليه، وأرسلوا إليه غلاماً نصرانياً يُدعى عَدّاس يحمل له عنباً.

وقبل أن يأكل النبي ﷺ، قال: «بسم الله».

فتعجب عَدّاس وقال: «ما يقول أهل هذا البلد مثل هذه الكلمة».

فسأله النبي ﷺ عن بلده، فقال إنه من نينوى. فقال له ﷺ: «من بلد الرجل الصالح يونس بن متى! إنه أخي، كاننبياً وأنانبي مثله».

انبهر عَدّاس ومال عليه يقبل يديه، وصدق برسالته، قائلاً لسادته: «ما على الأرض أحدٌ خيرٌ منه، قال لي شيئاً لا يعرفه إلا النبي».

ردوا عليه محدّرين: «إياك أن ترك دين آبائك؛ دينك خيرٌ من دينه».

لكنهم لم ينجحوا في ثنيه، فقد عرف عَدّاس رضي الله عنه أنه لقينبياً وأمن به.

مَلَكُ الْجَبَالِ

عاد رسول الله ﷺ، منكسر القلب مغموماً، ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، قاصدين مكة بعد ما أصابهما في الطائف من أذى. وعندما بلغوا منطقة تُدعى «قرن المنازل»، ظهرت غمامات تُظلله، وإذا بجبريل عليه السلام يخاطبه: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجَبَالِ».

فجاء ملك الجبال وسلم على النبي ﷺ، وقال له:

«إِنْ شِئْتَ، أَطْبَقْتَ عَلَيْهِمَا الْأَخْشَبَيْنِ (الْجَبَلَيْنِ الْمَحِيطَيْنِ بِالْطَّائِفِ)».

لكن النبي ﷺ، في قمة الرحمة والرفق، رفض قائلاً:

طلب أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً».

يَا لَهُ مِنْ خَلْقٍ لَا يُضاهِي! بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ الْأَذى وَالْطَّرَدِ وَالرِّجْمِ، يُظْهِرُ ﷺ تَسَامِحًا
وَعَطْفًا لَا مِثْيلَ لِهِ. كَانَ حَقًّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ظهور الملائكة في ذلك الوقت كان عزاءً عظيمًا للنبي ﷺ، وتبثيتًا له أن الله معه ويسانده. فبعد أن بقي أيامًا في وادي نخلة، اتجه نحو مكة بعزيمة مجددة.

وحين حاول دخول مكة، رفض ساداتها منحه الحماية، فبادر المطعم بن عدي، أحد الأشراف، إلى حمايته، فدخل النبي ﷺ مكة مطمئنًا، واثقًا أن الله سيحفظه ويحفظ دعوته إلى الإسلام الحق.

وَتَعَالَى
سُبْحَانَهُمْ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

أَنْصَرَ اللَّهُ
عَبْدِهِ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

بعد أن بذلت قريش جهداً كبيراً في محاولة وقف انتشار الإسلام، وتكررت محاولاتهم العقيمة في التفاوض مع رسول الله ﷺ، قرروا تغيير أسلوبهم. فلم تؤدّ محاولات التعذيب والاضطهاد إلى النتائج المرجوة، بل على العكس، زادت المسلمين إيماناً وثباتاً على عقيدتهم.

فتوصلت قريش إلى قرار خطير: مقاطعة المسلمين وحلفائهم من بنى هاشم وبني المطلب، مقاطعة شاملة اقتصادية واجتماعية. واستمرت هذه المقاطعة مدة ثلاث سنوات، عانى خلالها المسلمون أشد المعاناة، حتى أكلوا أوراق الشجر وأصوات أطفالهم على من المجموع.

وبعد رفع الحصار، أصيب النبي ﷺ بخسارة موجعة فقد توفي عمه وأكبر حامي له، أبو طالب، ثم بعده بأشهر معدودة، لحقته زوجته الطاهرة خديجة رضي الله عنها، صاحبة القلب العطوف والموقف الثابت. فأصابه من الحزن ما أصاب، حتى سُمي ذلك العام عام الحزن.

رغم الأحزان المتتالية، لم يتوقف رسول الله ﷺ عن دعوته، فانطلق إلى الطائف، آملًا أن يجد فيها قلوبًا مفتوحة للدعوة، لكن أهلها صدّوه وأساءوا إليه.

